المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى
في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم العليم الفتاح في ضوء هدايات آيات الفلاح

اسم الباحث

أ / عبدالإله هرماشي

عبد الإله هرماشي

تعظيم العليم الفتاح

في ضوء هدايات آيات الفلاح

تقديم

الحمد لله رب العرش العظيم، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين،،

أمّا بعد؛ فليس يخفىٰ ما آلت إليه الأمة من انحراف عن المنهج الذي صدع به الكتاب الكريم، وبينه النبي الأمين، انحرفت انحرافا مشهودا، تعددت دوافعه، وتباينت أشكاله بين غلو وجفاء، ولعل أهم أسباب ذلك، تؤول إلىٰ ضعف تعظيم الله في النفوس، وعدم استسلام الناس لأحكامه الشرعية، أمرها ونهيها، وعدم تلقيها بالقبول، مما اقتضىٰ التذكير بما يقوي جوانب تعظيم الله أو يسترده إلىٰ الحال الذي كان عليه سلف الأمة.

وإن أعظم ما يحقق ذلكم المبتغىٰ، تلمس هدايات الكتاب العزيز والكشف عنها وإبراز أسرار هيمنتها. من هذا المنطلق، تغيىٰ هذا المبحث الموسوم بـ (**تعظيم العليم الفتاح في ضوء هدايات آيات الفلاح**) تسليط الضوء علىٰ الآيات التسع الأولىٰ التي افتتحت بها سورة المؤمنون، واستجلاء هداياتها الخادمة للموضوع، والإسفار عن بالغ اهتمام الكتاب العزيز بالإرشاد إلىٰ تعظيم أمر الله الشرعي، كما هو سبحانه معظم في أمره الكوني، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد تأتىٰ أن يكون البحث في مبحثين يقدمهما تقديم بين يدي الموضوع يوضح مقصده، ثم مدخل موجز في **سياقه** يكشف علىٰ دلالات مفردة التعظيم اللغوية والاصطلاحية، ثم كان العمد في **المبحث الأول** إلىٰ الوقوف علىٰ مقدمات تفسيرية لسورة المؤمنون اقتضتها نوعية الطرح، واستدعاها مجال الدراسة، شملت مطلبين: **الأول** في أسماء السورة وفضلها، و**الثاني** في أحوال نزولها وموضوعها. ثم دلفت إلىٰ **المبحث الثاني** الذي اختص ببيان بعض أوجه تعظيم الله عز وجل، انقسم تناوله علىٰ مطلبين: انتهض **الأول** بتبريز مكانة تعظيم الأمر والنهي من تعظيم الله تعالىٰ، والثاني ببسط المقال حول نماذج خمسة من امتثال أهل الفلاح لشرع ربهم، ونسج الهدايات المضمنة في الآيات التسع. ليختتم البحث بسرد النتائج المستخلصة، والتوصيات المرجوة.

مدخل في الموضوع: تعريف التعظيم وفضله

التعظيم **لغة**: على وزن تفعيل من العِظم بالكسر.

قال في (الصحاح): «عظم الشيء عظما: كبر، فهو عظيمٌ. والتَعْظيمُ: التبجيلُ. واسْتَعْظَمه: عدَّه عظيمًا. والعظمة: الكبرياء»[1].

وقال الفيروزابادي: «وعَظَّمَه تَعْظِيمًا وأعْظَمَهُ: فَخَّمَهُ، وكَبَّرَهُ»[2].

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ في (لسان العرب): «العظيم الذي جاوز قدره وجلَّ عن حدود العقول حتىٰ لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته»[3].

واصطلاحا: معرفة العظمة والتذلل لها[4].

وتعظيم الله عز وجل هو معرفة عظمته، وإجلاله مع التذلل له، فعلىٰ قدر المعرفة يكون التعظيم في القلب، وأعرف الناس به أشدهم تعظيمًا له وإجلالًا، ومحبة وطاعة وعبادة.

والتعظيم علىٰ ثلاث درجات:

الأولىٰ: تعظيم الأمر والنهي، ويتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي.

الثانية: تعظيم الحكم الكوني القدري، بأن يراه كله مستقيمًا؛ لأنه صادر عن عين الحكمة، فلا عوج فيه.

الثالثة: تعظيم الرَّبّ -سبحانه- الذي له الخلق والأمر، بألا يجعل دونه سبب يوصل عبده إليه، ولا يرىٰ لأحد من الخلق حقًّا علىٰ الله، بل الحقّ لله علىٰ خلقه، فهو الذي خلقهم ورزقهم وهداهم وأبقاهم[5].

والعظيم صيغة مبالغة من العظمة، قال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العظيم: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه -عزَّ وجلَّ- كذلك تعرفه العرب في خطبها ومحاوراتها»[6].

---

(١) الصحاح (مادة: عظم ٥/ ١٩٨٧-١٩٨٨).

(٢) القاموس المحيط (مادة عظم: ١١٣٩).

(٣) لسان العرب (مادة عظم ١٢/ ٤٠٩).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤).

(٥) موسوعة فقه القلوب (٢/ ١٨٠٧-١٨١٠).

(٦) اشتقاق أسماء الله (١/ ١١١).

وقد ورد في كتاب الله وصفٌ لجلائل الأمور خيرها: كالفوز والفضل والقرآن والعرش والطود والنبأ وشرها كالكرب والخزي والحنث.

والعظيم من أسماء الله الحسنىٰ، قال السِّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظيمُ الجامعُ لجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ، والمجدِ والبهاءِ الذي تحبُّه القلوبُ، وتعظِّمُه الأرواحُ، ويعرفُ العارفونَ أنَّ عظمةَ كلِّ شيءٍ، وإن جَلّتْ في الصفةِ، فإنها مُضْمَحِلةٌ في جانبِ عظمةِ العليِّ العظيمِ»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٩٥٤).

المطلب الأول: أسماؤها وفضلها

▪ **أسماؤها**: وسمت كلّ سورة من سور القرآن باسم تشتهر به، ويدلّ علىٰ مضمونها وموضوعها الرّئيس في الغالب، وقد تتعدّد الأسامي لمناسبات تظهر عند التأمل، ولـ (سورة المؤمنون) اسم توقيفي، وأسماء اجتهادية.

فالاسم التوقيفي: المؤمنين أو المؤمنون: فالأوّل علىٰ اعتبار إضافة السُّورة إلىٰ المؤمنين[1]، والثاني علىٰ الحكاية إذ جعل ذلك اللفظ تعريفا للسُّورة[2]. وسُمّيت بهم لاشتمالها علىٰ جلائل أوصافهم ونتائجها[3].

أمَّا الأسماء الاجتهادية فثلاثة:

١- **سورة (قد أفلح)**: سميت به لصدارة هذه الجملة وافتتاح السورة بها، قال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأخرج إلينا مالك مصحفًا لجدِّه، فحدَّثنا أنه كتب علىٰ عهد عثمان بن عفان. فوجدنا في (البقرة): (وَأَوْصَىٰ)، وفي (قد أفلح): كلّها الثلاث لله، وفي (طسم) باخع»[4].

٢- **سورة الفلاح**: قال الجعبريُّ[5]:

ومَضَـــاجِعٌ نوحٌ وطُورٌ والفَلا ... حُ المُلْـكُ وَاعِيـةٌ وسَـــالَ وعَمَّ لا

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويسمُّونها أيضًا: سورة الفلاح»[6].

والفلاحُ: اسم مصدر نائب عن الإفلاح من (أفلح)[7] الذي صدّ رتبه، وهو أجمع كلمة للدَّلالة علىٰ نوال الخير.

---

(١) عن عبد الله بن السائب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: حضرت رسول الله ﷺ يوم الفتح، فصلَّىٰ في قِبل الكعبة، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، فافتتح (سورة المؤمنين)، فلمَّا جاء ذكر موسىٰ أو عيسىٰ أخذته سَعْلة فركع. علَّقه البخاري (١/ ١٥٤) بصيغة التَّمريض، وأخرجه النَّسائي (١٠٠٧)، وصححه الألبانيُّ في (الإرواء: ٣٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (٥/ ١٨).

(٣) محاسن التأويل (٧/ ٢٨٠).

(٤) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٧/ ٣٣).

(٥) في قصيدته (تقريب المأمول في ترتيب النزول). ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٨).

(٦) التحرير والتنوير (١٨/ ٥).

(٧) ينظر أضواء البيان (٣/ ٨٢).

٣- **سورة الإيمان**: لأن محورها حول الإيمان والمؤمنين، فالإيمان وصف استحق الفلاح من اتصف به، كما استحق الخسارة منا تصف بضده الذي هو الكفر كما في أواخرها

- **فضلها:**

كل ما ورد في فضائل (سورة المؤمنين) من أحاديث، إمَّا أنّه ضعيفٌ لا ينجبر، أو موضوعٌ مختلق[(١)]. ولم يصحّ عن النبي ﷺ في ذلك شيء، إلا فضل اندراجها علىٰ جهة الإجمال في المئين من سور الكتاب المتين، قال ﷺ: « **أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ** »[(٢)]. ومما يستأنس به في هذا الموضوع: ما جاء عن يزيد بن بابَنوس، قال: قلنا لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف كان خُلُق رسول الله ﷺ، قالت: كان خلق رسول الله القرآن، ثمّ قالت: تقرأ سورة المؤمنين؟ اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، حتىٰ بلغ العشر. فقالت: هكذا كان خُلُق رسول الله ﷺ[(٣)].

المطلب الثاني: أحوال نزول السورة:

١- مكان ووقت نزول السور:

نزلت (سورة المؤمنين) علىٰ رسول الله ﷺ بمكَّة قبل الهجرة، فعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «نزلت بمكة سورة المؤمنين»[(٤)].

ونقل ابنُ الجوزيِّ والقرطبيُّ الإجماعَ علىٰ أنَّها مكّيَّة[(٥)]. ونبَّه ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ أن لا اعتداد بتوقف من توقَّف في ذلك: بأنَّ الآية التي ذُكِرَت فيها الزَّكاة، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ تعيَّن أنَّها مدنية؛ لأنَّ الزَّكاة فُرِضَت في المدينة. فالزَّكاة المذكورة

---

(١) ينظر كشف الخفاء (٢/ ٥١١-٥١٢) والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (٣٣١).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٨٢)، وحسّن إسناد الأرنؤوط، وصححه الألبانيّ في (الصحيحة: ١٤٨٠).

(٣) رواه البخاري في (الأدب المفرد: ٣٠٨)، والنسائي في (السنن الكبرىٰ: ١١٣٥٠)، والحاكم (٣٤٨١)، وصححه الألباني في (صحيح الأدب المفرد).

(٤) أخرجه النَّحاس في (الناسخ والمنسوخ: ٥٧٩)، وعزاه السّيوطيُّ في (الدُّرّ المنثور ٦/ ٨٢) لابن مردويه. وعن ابن عبَّاس، قال: «وسورة المؤمنون والفرقان وسورة الشعراء سوىٰ خمس آيات من آخرها نزلن بالمدينة». وهو قول عكرمة والحسن البصري (دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٤٢-١٤٣)، وقتادة (فهم القرآن: ٣٩٥-٣٩٦)، وعلي بن أبي طلحة (فضائل القرآن لأبي عبيد ٢/ ٢٠٠)، والزُّهري (تنزيل القرآن: ٣٧-٤٢)، ومقاتل في (تفسيره ٣/ ١٥١)، وابن سلام في (تفسيره ١/ ٣٩٢) وقال: «وهي مكيّة كلها».

(٥) زاد المسير (٣/ ٢٥٤)، وتفسير القرطبي (١٢/ ١٠٢).

فيها هي الصَّدقة، لا زكاة النُّصب المُعيَّنة في الأموال[١]، زاد النَّاصريُّ: «ووصفُ البعض لها بكونها مدنية غلطٌ أو سبق قلم»[٢].

وأمَّا ترتيب نزولها؛ فعلىٰ الرغم من أنَّ العلم به في غاية الأهمية، وممّا يخدم علم التفسير وبخاصة التفسير الموضوعي، فالذي تطمئن إليه النَّفس أنَّ مسألة ترتيب سور القرآن علىٰ نجوم القرآن، لا يستقيم فيه دليلٌ صحيحٌ يعتمد، فكلّ الرِّوايات والآثار التي ذكرت فيه لا مجال لقبولها سندًا ولا متنًا[٣].

٢- الجو العام لنزول (سورة المؤمنون):

لما كان عموم المخاطبين بمكِّي السُّور والآي قومٌ قد شاع فيهم الشِّرك بأشكاله، وفشا فيهم تعظيمُ الأوثان بأضرابه، وعمَّ فيهم اقتراف المنكرات والفواحش، فقد نصَّ جمعٌ من أهل العلم بالقرآن أنَّ عموم السُّور المكية نزلت لإرساء قواعد التَّوحيد، واستثارة الأدلَّة الفطرية والعقلية لإثبات حقِّ الله في العبودية والوحدانية وتعظيمه في النُّفوس والقلوب، والدَّعوة إلىٰ الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ وباليوم الآخر الوعد والوعيد، ويتخلَّل هذا وذاك نقضُ عرىٰ الشِّرك والرَّدِّ علىٰ المشركين ومحاجَّتهم ودحض شبهاتهم، وإبطال ضلالتهم، وتشويه خرافاتهم، والتَّفصيل في قصص الأنبياء وأخبارهم مع أقوامهم، وتشريع أصول العبادات كالصَّلاة، والحضّ علىٰ أمَّهات الأخلاق والفضائل[٤].

يقول الشَّاطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وغالب المَكِّي أنَّه مقرِّرٌ لثلاثة معانٍ، أصلها معنًىٰ واحد، وهو الدُّعاء إلىٰ عبادة الله تعالىٰ: أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحقّ. والثاني: تقرير النبوة للنبيِّ محمّد، وأنَّه رسول الله إليهم جميعًا، صادقٌ فيما جاء به من عند الله. والثالث: إثبات أمر البعث والدَّار الآخرة، وأنَّه حقٌّ لا ريبَ فيه بالأدلة الواضحة. فهذه المعاني الثَّلاثة هي

---

(١) التحرير والتنوير (٥/ ١٨).

(٢) التيسير لأحاديث التفسير (٤/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: ترتيب نزول القرآن، د. محمد علي الحسن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، وتفسير القرآن علىٰ ترتيب النزول، منبعه وفوائده، وفي ظلال القرآن (٣/ ١٤٢٩).

(٤) ينظر في ذلك التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٢٠٢)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم (٢٢٧)، وتفسير المنار (١٠/ ١٠٥)، ودراسات في علوم القرآن الكريم (١٣١).

التي اشتمل عليها المُنَزَّل من القرآن بمكَّة في عامَّة الأمر، وما ظهر ببادئ الرَّأي خروجه عنها؛ فراجع إليها في محصول الأمر، ويتبع ذلك التَّرغيب والتّرهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار، ووصف يوم القيامة، وأشباه ذلك»[(١)].

إذا تقرر هذا؛ فليعلَّم أنَّ نزول (سورة المؤمنون) كان والمشركون في غاية الاستكبار عن الاستجابة لدعاء نبيِّهم، صادِّين عن دعوة التَّوحيد بالشُّبه الباطلة، والدَّعاوىٰ الفاسدة، مدَّعين لله شركاءَ يقرِّبونهم إليه زُلفىٰ، منكرين البعثَ والنُّشورَ والحسابَ والجزاءَ، ومكذِّبين بالرِّسالة الإلهية، قذفًا للنَّبيِّ ﷺ بالسِّحر تارة وبالجنون أخرىٰ وبالافتراء في الأخير.

وهذا كلُّه لكونه بشرًا -زعموا- قال تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾، وقالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

وكان الدَّاعي لهذا العتو والاستنكاف ماكانوا عليه من التَّرف والنَّعمة بما أمدَّهم به الله -عزَّ وجلَّ- من المال والبنين، فإذا هم بالنِّعم كافرون، وللنُّبوة جاحدون، لذا سجلت السُّورة أصدق صورةٍ عمَّا كانت عليه قريشٌ من رفاهية حال، قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

وعن مآلهم بعد ما توعدهم الله بالعذاب والنَّكال قال عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ثم عن تكذيبهم وإصرارهم علىٰ الجحود والاستكبار حتىٰ بعد أن أصابهم الضر، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

أمَّا أهل الإيمان؛ فقد دُعوا إلىٰ التَّخلُّق بالعفو والصَّفح والصَّبر علىٰ أذىٰ المشركين، والإغضاء عمَّا صدر منهم من ألوان السَّماجة والبذاءة وسوء اللَّهجة، قال تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

قال مقاتل: «نزلت في النَّبيِّ ﷺ وأبىٰ جهل لعنه الله، حين جَهِل علىٰ النَّبيِّ ﷺ»[(٢)].

---

(١) الموافقات: (٤/ ٢٦٨) بتصرف.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٥).

٣- موضوع السورة وأغراضها:

جُلُّ من تناول أغراضَ (سورة المؤمنون) بالدِّراسة، يتَّفق علىٰ أنّها أُنزلت لمقصد محوري، وهو: تحقيق الوحدانية لله تعالىٰ، وإبطال الشِّرك ونقض قواعده، والتَّنويه بالإيمان وشرائعه، ومدح المؤمنين، والثناء عليهم(١).

ولكم أبدع الإمام الشَّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير ما قَصَدَتْه من أغراض، حيثُ قال: «(وسورة المؤمنون) نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت علىٰ معان كثيرة، وهو: الدُّعاء إلىٰ عبادة الله تعالىٰ. وإن غلب علىٰ نسقها ذِكْرُ إنكار الكفَّار للنبوة التي هي المدخل للمَعنيين الباقِيَين»(٢).

وأنّهم إنَّما أنكروا ذلك بوصف البشرية ترفعًا منهم أن يُرسَل إليهم مَن هو مثلهم، أو ينال هذه الرُّتبة غيرُهم إن كانت. ثم استطرد في تفصيل مواضيعها قائلا: «افتتحت السورة بثلاث جمل: إحداها، وهي الآكد في المقام: بيان الأوصاف المكتسبة للعبد التي إذا اتصف بها رفعه الله وأكرمه، وذلك قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلىٰ قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾. والثانية: بيان أصل التكوين للإنسان وتطويره الذي حصل له جاريًا علىٰ مجاري الاعتبار والاختيار، بحيثُ لا يجد الطَّاعن إلىٰ الطَّعن علىٰ مَن هذا حاله سبيلًا. والثالثة: بيان وجوه الإمداد له من خارج بما يليق به في التَّربية والرِّفق، والإعانة علىٰ إقامة الحياة، وأنَّ ذلك له بتسخير السَّماوات والأرض وما بينهما، وكفىٰ بهذا تشريفًا وتكريمًا. ثم ذكرت قصص من تقدَّم مع أنبيائهم واستهزاءهم بهم بأمور منها كونهم من البشر. هذا كلّه حكاية عن الكفَّار الذين غضُّوا من رتبة النُّبوة بوصف البشرية، تسلية لمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم بيَّن أنَّ وصف البشرية للأنبياء لا غضَّ فيه، وأنَّ جميع الرُّسل إنَّما كانوا من البشر، يأكلون ويشربون كجميع النَّاس، والاختصاص أمرٌ آخرُ من الله تعالىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، أي: هذا من نعم الله عليكم، والعمل الصالح شكر تلك النعم، ومشرف للعامل به؛ فهو الذي يوجب التَّخصيص لا الأعمال السَّيئة، وقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾، إشارة إلىٰ التماثل بينهم، وأنهم جميعا مصطفون من البشر».

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٨/ ٦)، والبحر المديد (٣/ ٦٠٤)، وفي ظلال القرآن (١٨/ ٢٤٥٢) والتيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٢٠٣).

(٢) الموافقات (٤/ ٢٦٨). يقصد بِهما: تقرير الوحدانية لله الواحد الحقِّ، وإثبات أمر البعث والدار الآخرة.

ثم خلص رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ نتيجة وهي: «أنَّهم -الكفار- إنَّما قالوا ذلك، وغضُّوا من الرُّسل بوصف البشرية؛ استكبارًا من أشرافهم، وعُتُوًّا علىٰ الله ورسوله؛ فإنَّ الجملة الأولىٰ من أوَّل السُّورة تشعر بخلاف الاستكبار، وهو: التَّعبد لله بتلك الوجوه المذكورة، والجملة الثَّانية مؤذنة بأنَّ الإنسان منقولٌ في أطوار العدم وغاية الضَّعف؛ فإنَّ التَّارات السَّبع أتت عليه وهي كلّها ضعفٌ إلىٰ ضعف، وأصله العدم؛ فلا يليق بمَن هذه صفته الاستكبار، والجملة الثالثة مشعرةٌ بالاحتياج إلىٰ تلك الأشياء والافتقار إليها، ولولا خلقها لم يكن للإنسان بقاءٌ بحكم العادة الجارية؛ فلا يليق بالفقير الاستكبار علىٰ مَن هو مثله في النَّشأة والخلق، فهذا كلّه كالتَّنكيت عليهم، والله أعلم»[1].

ثمَّ ألمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ مقصد آخر من مقاصد السُّورة، وهو: أنَّه حيثُ «ذكر قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسىٰ وهارون، فإنَّما ذلك تسلية لمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتثبيتٌ لفؤاده لما كان يلقىٰ من عناد الكفَّار وتكذيبهم له علىٰ أنواع مختلفة، فتذكر القِصَّة علىٰ النَّحو الذي يقع له مثله»[2].

وممَّا يلفت النَّظر عند التَّأمل: أنَّ من الأغراض السَّامية لـ (سورة المؤمنون) استثارة تعظيم الله تعالىٰ في قلوب قوم فقدوا الإحساس به، وتقاصرت عقولهم عن إدراكه، فما قدروا الله حقَّ قدره، فاستكبروا استكبارًا، ولم يروا لله وقارًا.

وقد توزَّعت المقاطع في السُّورة لإبراز هذا المقصد الأسنىٰ، وتنوَّعت الأساليب القرآنية في تقريب ذلكم الغرض الأسمىٰ، اقتضىٰ الأمر تجليته في المبحث الموالي، والذي تناول بيانَ تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال تعظيم عباده المؤمنين لأمره ونهيه.

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٧٣).

(٢) الموافقات (٤/ ٢٧٤).

المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى من خلال آيات امتثال المؤمنين لأمر الله ونهيه

استفتحت (سورة المؤمنين) بالحكم عليهم بالفلاح، وبتحقّق ما كان يرجون من الظَّفر بالمرغوب، والفوز بالنِّعيم السَّرمديِّ في جنَّات الفردوس.

وفي ضمن ذلك: التَّنويه بجميل خصالهم، وكريم فعالهم التي تحلَّوا بها، والتي قرنت إحسانهم في العبادة بإحسانهم للعباد، وختمت هذه الدِّيباجة الرَّائقة الرَّائعة بأفضل بُشرىٰ، تعظيمًا لمقامهم، وتأكيدًا لفلاحهم، لتكون لهم نِعْم الحافز ونِعْم الذِّكرىٰ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾.

ومتغيىٰ هذه الآيات الكريمات: الدَّلالة علىٰ أخلاق أهل الإيمان المثمرة لتعظيم المعبود جلَّ في علاه، والمُكسبة للعبد منازل الرِّفعة والشَّرف، وهي سِتُّ علامات: أولاها وأخراها: المواظبة علىٰ الصَّلاة علىٰ أكمل وجه ظاهرًا وباطنًا؛ إذ هي عماد الدِّين، والرُّكن الرَّكين. والثَّانية: ترك الاشتغال بما لا فائدة فيه، ولا نفع. والثالثة: الزَّكاة أداءً وامتثالًا. والرَّابعة: العِفَّة عن الزِّنا وعن دواعيه، كالإباحية أو انحراف أو شذوذ، والاقتصار علىٰ التَّمتع بالزَّواج الحلال المشروع. الخامسة: رعاية الأمانات والوفاء بالعهود الدِّينية والدُّنيوية[1].

المطلب الأول: تعظيم الأمر والنهي من أقوى دلائل تعظيم الله تعالى

حقيقة العبودية التي من أجلها خلق الله الموت والحياة، وأنشأ الإنس والجانّ: امتثال أمره، واجتناب نهيه، مع كمال الذِّلَّة والخضوع، ومعلومٌ أنَّ الأمر والنَّهي هما ركنا الدِّين الذي به أرسل الله الرُّسل مبشرين ومنذرين، ورتَّب علىٰ الانقياد له الثَّواب والعقاب، والجنَّة والنَّار.

ومرتكز العبادة علىٰ المحبة والخوف، فبالمحبة يسهل امتثال الأمر، وبالخوف يعان علىٰ اجتناب النهي، لذا كان من شعار أهل الإيمان والفلاح السَّمع والطاعة لله، ولرسوله ﷺ

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٢١٠)، بتصرف يسير.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور]، سمع إجابة للدَّاعي، وامتثالًا للأمر والنهي اعتقادًا وقولًا وعملًا، وفي المقابل فمخالفته دليل علىٰ الاستكبار والعلو عن أمره سبحانه، ومناف لتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- المنفرد بالكبرياء والعظمة ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص].

فتعظيم الأمر والنَّهي هو مقتضىٰ الخضوع لله تعالىٰ ولحكمه، والتسليم لأحكامه الشرعية، وتحكيمها في شؤون الحياة كلّها، وعدم العدول عنها إلىٰ الآراء البشرية، ولا معارضتها بالأهواء الرَّدية، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقدم الإسلام لا تثبت إلا علىٰ درجة التسليم، وذلك يوجب تعظيم الرب تعالىٰ وأمره ونهيه، **فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه، فعلىٰ قدر تعظيم العبد لله سبحانه يكون تعظيمه لأمره ونهيه. وتعظيم الأمر دليل علىٰ تعظيم الآمر**»[(١)].

قال بلال بن سعد: «لا تنظر إلىٰ صغر الخطيئة، ولكن انظر إلىٰ مَن عصيت»[(٢)].

وقال القشيريُّ في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]: «وسبيل المؤمن ألا يستصغر في الوفاق طاعة، ولا يستصغر في الخلاف زلَّة، فإنَّ تعظيم الأمر تعظيم للآمر، وأهل التَّحقيق لا ينظرون ما ذلك الفعل، ولكن ينظرون من الآمر به»[(٣)].

قال ابن القيم، مبيِّنًا آثار تعظيم الأمر والنهي في استقامة القلب: «الأمر الثَّاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنّهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإنَّ الله تعالىٰ ذمّ من لا يعظم أمره ونهيه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالىٰ عظمة. وما أحسن ما قال شيخ الإسلام[(٤)] في تعظيم الأمر والنهي: (هو أن لا يُعارضا بتَرخُّصٍ جافٍ، ولا يُعرضا لتشديد غالٍ، ولا يُحملا علىٰ علَّة توهن الانقياد)، ومعنىٰ كلامه: **أنَّ أوَّل مراتب تعظيم الحقَّ عزَّ وجلَّ: تعظيم أمره ونهيه**، وذلك المؤمن يعرف

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١).

(٢) الجواب الكافي (٥١).

(٣) لطائف الإشارات (٢/ ٥٩٨).

(٤) ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ربَّه -عزَّ وجلَّ- برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلىٰ كافَّة الناس، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، **وإنَّما يكون ذلك بتعظيم أمر الله -عزَّ وجلَّ- واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله -تعالىٰ- ونهيه دالًّا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنَّهي**»[(١)].

المطلب الثاني: امتثال المؤمنين لأمره تعالى واجتناب نهيه ودلالته على تعظيمه

امتدح الباري -سبحانه- المؤمنين بكونهم يستعظمون مخالفة أوامره مهما شقّت، أو مقارفة نواهيه وإن دقَّت، وذلك لتمكن الإيمان من قلوبهم، وتقلبهم بين منازله، فهم بين محبّة الله والخوف من عقابه، والرَّجاء لثوابه. كلٌّ يقودهم لامتثال أمره واجتناب نهيه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

قرَّر القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الآية: «أنَّ الله تبارك وتعالىٰ نفىٰ خِيرة المكلَّف عند سماع أمره وأمر رسوله ﷺ، ثمّ أطلق علىٰ من بقيت له خِيرة عند صدور الأمر اسم المعصية، ثمّ علَّق علىٰ المعصية بذلك الضَّلال»[(٢)].

وقال السِّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا ينبغي ولا يليق ممّن اتَّصف بالإيمان، إلَّا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما»[(٣)].

وقد جاء الثناء علىٰ المؤمنين باستجابتهم لنداء خالقهم، وطاعته في مواطن شتَّىٰ من كتاب الله العزيز، فمنها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

---

(١) الوابل الصيب (٩-١٠)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٨٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٦٥).

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

ومنها، قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢].

وكلّها جرت علىٰ نسق في الحثِّ علىٰ الاتِّصاف بجميل صفاتهم، والتّرغيب في الاقتداء بحسن أفعالهم، وفي ضمنها إظهار تعظيمهم لشرع ربهم، وانقيادهم لتعاليمه.

و(سورة الفلاح) تناولت في مستهلها التنويه بتلكم الصفات، المتمثلة في فعل المأمور وامتثاله، والانكفاف عن المنهي والبعد عنه، فجمعوا بين التقرّب بالطاعات، واجتناب المنكرات وَفق مراد الشارع الحكيم، رجاءً لثوابه العظيم، وخوفًا من عقابه الأليم.

تعظيم قدر الصلاة:

للصلاة في الإسلام منزلة عظيمة لا تبلغها عبادة من العبادات عدا إخلاص التوحيد لله جل في علاه، فهي عمود الدين[1]، وميزان عمل العبد يوم الدين، ولا حظَّ لمن تركها في

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والتِّرمذيُّ (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه التِّرمذيُّ والألبانيُّ في (الإرواء: ٤١٣).

الدِّين[١]، وآخر وصية[٢] للنَّبيِّ الأمين عليه أفضل صلاة وأزكىٰ تسليم[٣]. وقد كان فرضها ليلة الإسراء والمعراج في السَّماء، وورد الأمر بإقامتها في أكثر سور القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، قال الطاهر بن عاشور: «فإنَّ الصَّلاة أفعال وأقوال دالَّة علىٰ تعظيم الله، والثَّناء عليه، وذلك شكرًا لنعمته»[٤].

ومما يشهد لتعظيمها عند السَّلف الصَّالح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: ما رواه البخاريُّ في (صحيحه): عن الأسود، قال: كُنَّا عند عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، **فذكرنا المواظبة علىٰ الصَّلاة والتَّعظيم لها**، قالت: لمَّا مرض رسول الله ﷺ مرضَه الذي مات فيه، فحضرت الصَّلاة، فأُذِّن، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فقيل له: إنَّ أبا بكر رجلٌ أسيفٌ، إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصليَ بالنَّاس، وأعاد فأعادوا له .. الحديث[٥].

واشتملت آيات (سورة المؤمنين) ما يؤكِّد عظيمَ قدرها، وجليلَ مكانتها، حيثُ جرىٰ التَّنويه بها ضمن خصال المفلحين حال البداءة لاتصافهم بالخشوع فيها؛ إذ هو روحها ولبُّها، وحال الاختتام بالثَّناء علىٰ حفظ أوقاتها وشروطها وأركانها: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾.

وقد أرشدت هاتان الآيتان إلىٰ أوثق السُّبل الموصلة إلىٰ تعظيم الله عزَّ وجلَّ، وهي: إقامة الصَّلاة كما أمر الله تعالىٰ في كتابه، ووفق هدي رسوله ﷺ، فأفضل أحوال تذلّل الإنسان لربِّه، وخضوعه لحكمه حال كونه مصليًّا صلاةً كاملةً، مستحوذةً علىٰ كلِّ كيانه قلبه ولسانه وجوارحه.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «ولما كانت الصلاة مشتملة علىٰ القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية علىٰ أتم الوجوه، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء»[٦].

---

(١) أخرجه مالك (٥١)، وصححه الألباني في (الإرواء: ٢٠٩).
(٢) أخرجه أحمد (٢٦٤٨٣)، وصححه الألباني في (الإرواء: ٧/ ٢٣٨).
(٣) ينظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي.
(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٤).
(٥) صحيح البخاري (٦٦٤).
(٦) الوابل الصيب (٩٢).

فلا غرو أن تكون الصَّلاة راحة المحبّ، وقرّة عين الموحِّد، ولذَّة النَّاسك؛ إذ بها تسكن القلوب، وتطمئن النّفوس، وتنشرح الصُّدور.

فأمَّا الآية الأولىٰ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾؛ فتضمنت من الهدايات الدَّالَّة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، ما يسرَّ الله الوقوف عليه، وأسعف النَّظر علىٰ استنباطه، وقد أتىٰ استعراضها علىٰ النَّحو الآتي:

١- فيها تعظيم العبد لله بأنَّ استجاب لأمره بإقامة الصَّلاة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج].

٢- فيها تعظيمه -سبحانه- بجمعهم بين الإيمان والعمل الصَّالح، فاستدلوا علىٰ رسوخ إيمانهم، وصدقه بإقامة الصَّلاة علىٰ الوجه الأكمل، بدلالة عطفها علىٰ الاتِّصاف بخصلة الإيمان.

٣- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بالمسارعة إليها، والمبادرة بها رغم القواطع والموانع، ثمّ بذل الجهد والنَّصح في الإتيان بها علىٰ أكمل الوجوه[١].

٤- فيها تعظيمه -سبحانه- بأن جمع بين إقامة الصَّلاة والخشوع فيها، فأتىٰ بها علىٰ أكمل وجه، وأحسن كما أمر.

٥- فيها تعظيمه سبحانه بالخشوع في الصَّلاة؛ إذ هو خوفٌ يوجب تعظيم المخوف منه، ودليلٌ علىٰ إيمان العبد، وتمثَّله لمعاني التَّذلّل والخوف والخضوع[٢]، قال ابن القيم: «الحقُّ أنَّ الخشوع معنىٰ يلتئم من التَّعظيم والمحبَّة والذُّلِّ والانكسار. وقد كان للسَّلف في الخشوع بين يدي الله أحوال عجيبة، تدلّ علىٰ ما كانت عليه قلوبهم من الصَّفاء والنَّقاء»[٣].

٦- فيها تعظيم أمره -سبحانه- بالمداومة وتوطين النَّفس علىٰ الخشوع بحيث يصير لها خلقًا ثابتًا بدلالة الجملة الإسمية المُشْعِرة بذلك.

٧- فيها تعظيمه -تعالىٰ- باستصحاب ما يقتضيه الخشوع في الصلاة، من الانشغال بها عن غيرها، ومراقبة الله، واستحضر قربه، والتَّأدّب بآداب الصَّلاة من السُّكون والوقار، وتوقِّي العبثَ، والالتفات بالبصر والقلب حالها.

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ٩).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٨).

٨- فيها تعظيمه -سبحانه- بجمع الهمة، والاستعداد لإقامة الصلاة بخشوع وخضوع وتدبر لما يجري فيها من التكبير، والتسبيح، وتلاوة القرآن[١].

٩- فيها تعظيم الله بالتذلل له والاستسلام منكسرًا بين يده حال قيامه، واستقباله القبلة في الصَّلاة[٢].

١٠- فيها تعظيمه بافتتاح الصَّلاة بالتَّكبير الدَّالّ علىٰ التَّعظيم والإجلال للمعبود سبحانه، ونزع كلّ كبرياء عن سواه، بدلالة حذف المعمول عن اسم التفضيل (الله أكبر). قال الشَّنقيطيُّ في قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]: «أي: عظِّمه تعظيمًا شديدًا، ويظهر تعظيم الله في شدَّة المحافظة علىٰ امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلىٰ كلّ ما يرضيه»[٣].

١١- فيها تعظيمه باستفتاح أعمال الصَّلاة بتنزيهه وتمجيده، والثَّناء عليه بما هو أهله، تأدَّبًا في مخاطبته: «**سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك وتعالىٰ جدك ولا إله غيرك**».

١٢- فيها تعظيمه بالاعتصام بحوله وقوَّته أن يبعد عنه وساوس الشَّيطان.

١٣- فيها تعظيم الله حال مناجاته في تلاوة الفاتحة، واستشعار الفرح والسُّرور حال مناداته ربَّه بـ(عبدي)[٤].

١٤- فيها تعظيمه بحمده لله؛ لأنَّ معناه: أنَّ الحمدَ حقٌّ لله وملكه، وهذا المعنىٰ حاصل، سواءٌ كان العبد مشتغلًا بمعنىٰ التَّعظيم والإجلال، أو لم يكن[٥].

١٥- فيها تعظيمه حال تدبر أسماء الجلال وصفات الكمال: الله، والرَّبّ، والرَّحمن الرَّحيم، وشهود تفرده بالعبودية والرُّبوبية والإحسان للخلق أجمعين.

---

(١) ابن فورك (١/ ٦٢).

(٢) استخرجت معظم هذه الهدايات من كتاب (أسرار الصلاة) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) أضواء البيان (٣/ ١٩٠).

(٤) لحديث مسلم في (صحيحه: ٣٩٥): عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله -عزَّ وجل- قسَّمت الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قال الله تعالىٰ: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قال الله تعالىٰ: أثنىٰ عليَّ عبدي. وإذا قال العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قال: مجَّدني عبدي» الحديث.

(٥) مفاتيح الغيب (١/ ١٩١).

١٦- فيها تعظيمه بالاعتراف بمِلكه التَّامّ، ومُلكه العامّ لجميع الخلقية، فلا سواه قادرٌ علىٰ التَّصرف في ملكه، ولا غيره قادرٌ علىٰ الأمر والتَّدبير في ملكه سبحانه، بدلالة القراءتين المتواترتين: (ملك ومالك).

١٧- فيها تعظيمه بإثبات قهره للخليقة بالموت والبعث للقضاء الحقِّ، والقيام بالقسط والعدل.

١٨- فيها تعظيمه بإفراده بالعبودية التَّامَّة، واستحقاقه للألوهية الكاملة، والتَّذلّل في طلب عونه ومدده.

١٩- فيها تعظيمه بالاعتراف بشدّة حاجة العبد وفاقته، واضطراره لسؤال الغني المجيد سبحانه.

٢٠- فيها تعظيمه -سبحانه- باللجأ إليه، وطلبه للهداية التي لا يملكها سواه، ودعائه الثَّبات عليها.

٢١- فيها تعظيمه المتجلِّي في خشيته والخوف من أن يحول بينه بين الهداية، فيركب سبيل المغضوب عليهم والضَّالِّين.

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩﴾.

١- فيها تعظيم المؤمن لله لشدّة تعلُّقه بالصَّلاة بدلالة الإضافة إليه ﴿صَلَوَٰتِهِمۡ﴾، قال تعالىٰ: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، وفي حديث السَّبعة الذين يظلّهم الله يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلّه: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ»(١).

٢- فيها تعظيمه -سبحانه- بالمداومة علىٰ القيام بالصَّلوات والمواظبة عليها، بدلالة الفعل المضارع المُؤْذِن بالتَّجدد والاستمرار، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ [المعارج](٢).

٣- فيها تعظيمه تعالىٰ باتباع السُّنّة النَّبوية في أدائها، والتَّصديق بها، والتَّسليم لها، وترك الاعتراض عليها برأي أو غيره، سواء ظهرت للعبد حكمةُ المأمور به، أم خفيت(٣).

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مالك (٣٥٠٥)، وأحمد (٩٦٦٥)، وعند البخاري: (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٤٧٩) بلفظ (مُعلَّق)، وهو في صحيح مسلم (١٠٣١).

(٢) علىٰ تفسير الدَّوام بالمواظبة، والقول الآخر هو السُّكون والخشوع. ينظر تفسير القرطبي (١٨/ ٢٩١).

(٣) ينظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١).

٤- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بالرُّكوع له ركوعَ هيبة لجلاله، واستكانة لعزته، وتذلل لكبريائه، فيجتمع له خضوع القلب، وخضوع الجوارح، وخضوع القول بذكره.

٥- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بذكره والثَّناء عليه بالعظمة، قال رسول الله ﷺ: «**فأمَّا الرُّكُوعُ؛ فعظِّموا فيه الرَّبَّ تعالىٰ**»(١). وكان ﷺ يقولُ في ركوعِه وسجودِه: «**سُبوحٌ قُدوسٌ، ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ**»(٢)، وكان يقول: «**اللهم لك ركعت، ولك خشعت، ولك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت**»(٣).

٦- فيها تعظيم العبد ربَّه حال حمده بعد الرَّفع من الرُّكوع، بأن وفَّقه للرُّكوع، ثمّ هداه للاعتدال بعده.

٧- فيها تعظيمه حين يكبِّر ويخِرُّ ساجدًا لربِّه -عزَّ وجلَّ- بأعضائه، راغمًا له أنفه، خاضعًا له قلبه وجوارحه، مستكينًا منكسرًا بين يديه، وهذه الحال أقرب ما يكون العبد إلىٰ ربِّه(٤).

٨- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بالمحافظة علىٰ أوقات الصَّلاة من أن تؤخّر عنها وعدم السَّهو عنها، فالمحافظة تؤذن بأنَّ المتعلَّق بها حقٌّ عظيمٌ يخشىٰ التَّفريط فيه(٥)، ويلزم الاحتراس من تضييعه، أو تضييع بعضه.

٩- فيها تعظيمه -تعالىٰ- برعاية حدودها، والتَّفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها(٦).

١٠- فيها تعظيمه -سبحانه- بالمجاهدة في تحصيل الأسباب التي لا تقوم الصَّلاة إلَّا بها من انتظار مواقيتها وتكميل الطَّهارة لها، والإتيان بآدابها، فالمحافظة صيغة مفاعلة للمبالغة.

١١- فيها تعظيمه تعالىٰ بالإتيان بها كل مرة كاملة الشرائط والأركان العملية، كاملة الآداب والمعاني القلبية بدلالة اختيار لفظ المحافظة علىٰ الحفظ، لأن الصيغة علىٰ أصلها تفيد المشاركة في الحفظ وهي هنا بين العبد وربه(٧).

---

(١) رواه مسلم (٤٧٩).

(٢) رواه مسلم (٤٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) .

(٤) لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٥) التحرير والتنوير (٢/ ٤٦٦).

(٦) الوابل الصيب (١٠).

(٧) تفسير المنار (٢/ ٣٥٤).

١٢- فيها تعظيمه الأمر بالاستدامة علىٰ إقامة الصلوات المكتوبة بدلالة فعل المضارع يحافظون، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحِجر].

١٣- فيها تعظيمه بترك الانشغال عن الصَّلاة بأمور الدُّنيا؛ لأنَّ المحافظة عليها تقتضي الإقبال عليها، وعدم الانشغال عنها بغيرها، قال تعالىٰ: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

تعظيم النهي عن الانشغال باللغو

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون].

ورد اللَّغو في كتاب الله في معرض الذَّمِّ والنَّهي عنه، وممّا يستأنس به علىٰ انعدام نفعه في الدِّين أو الدُّنيا، عدم تعداده من نِعَم الجنَّة، وخلوها منه، قال تعالىٰ: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ [الطور: ٢٣]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦﴾ [الواقعة].

والمراد باللَّغو في الآية: ما لا خير فيه، وهو الباطل. ويشمل: الشِّرك والمعاصي، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، واللعب واللهو والهزل، وما توجب المروءة تركه[1].

كما جاء الإعراض عن اللَّغو في سياق الثّناء علىٰ عباد الرحمن، والتّنويه باتِّصافهم به في كلّ أحوالهم، والمقصد من ذلك: حثُّ المؤمنين علىٰ التَّخلق بهذه الفضيلة النَّبيلة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [القصص: ٥٥]، وقال أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ [الفرقان].

وقد يأتي في معرض الأمر به، في مقابل مَن تلَّبس بالمنكر من القول أو العمل أو الاعتقاد، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

وفي عصرنا الحاضر استبد الاشتغال والانشغال باللغو علىٰ شتىٰ أضرابه وأشكاله، فلم يعد للوقت عند الناس قيمة، ولا للزمن معنىٰ، ولا للحياة غاية، والعلة في ذلك البعد عن كتاب الله وعن تلاوة آياته والإعراض عن تدبره والعمل به.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٣٦)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٤٦)، موسوعة التفسير المأثور (١٥/ ٢٥٦) وأضواء البيان، للشنقيطي (٥/ ٣٠٦).

وانطلاقا من هذه الآية الكريمة، يمكن أن نسترشد بدلالاتها المتنوعة الغزيرة لاستخراج هدايات تعين علىٰ تعظيم الله -تعالىٰ- من خلال اجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وإبراز بعض مظاهر ذلكم التعظيم:

١- فيها تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- بالبراءة من الشِّرك ومجانبة الوقوع فيه، فهو أعظم اللغو، وأكبر الكبائر.

٢- فيها تعظيمه تعالىٰ بعدم اقتراف المعاصي لدخولها دخولًا أوَّليًّا في اللَّغو.

٣- فيها تعظيمه تعالىٰ بالانشغال بالحقِّ، وصرف الاهتمام إلىٰ العكوف علىٰ الطاعات، والإقبال علىٰ ينفع العبد في دينه ودنياه؛ لأنَّ ذلك مدعاة للإعراض عن الباطل واللَّهو.

٤- فيها تعظيمه بمجاهدة النَّفس، وتوطينها علىٰ العمل الصَّالح والقول الحسن، وتجنب الباطل بدلالة مناسبة الآية لما قبلها، فإنَّ من اعتاد الخشوع لله تجنبًا للَّغو قولًا وفعلًا وفكرًا[١].

٥- تفيد تعظيمه بالجمع بين فعل الطاعات وترك المنكرات، إذ الامتثال والانتهاء وفق مراد الشَّارع أشقُّ علىٰ النُّفوس[٢]، ويدلّ عليه اتباعُ الوصف بالخشوع في الصَّلاة الإعراضَ عن اللَّغو. وقد كان من دعاء النَّبيِّ ﷺ دُبُرَ كلّ صلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ»[٣].

٦- فيها تعظيمه تعالىٰ بالحرص علىٰ التجافي عن مظانِّ المنكرات وأسبابها، وما يدعو إليها، ومجانبة كلّ وسيلة تقرِّب منها[٤]، وعدم مخالطة أهلها، ولا الرِّضا بمقارفتها، لدلالة لفظ الإعراض عن معاني التَّجافي عن الباطل، فهو أبلغ من الذين لا يلهون، وأقوىٰ معنًىٰ من التَّرك؛ لأنَّه ابتعادٌ عنه رأسًا مباشرة، وتسببًا وميلًا وحضورًا[٥]، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[الفرقان: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[القصص].

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/ ١٠.

(٢) مفاتيح الغيب، ٢٣/ ٢٦١.

(٣) أخرجه التّرمذي (٣٢٣٤)، وقال: «حسن غريب»، ثم روىٰ بعده حديث معاذ، وقال: «حسن صحيح».

(٤) الوابل الصيب (١٣).

(٥) أنوار التنزيل (٤/ ٨٢).

٧- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بحفظ الجوارح عن التَّلَبس بكلّ ما يجلب غضب الله ومقته، قال الشَّافِعِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفرض الله علىٰ السَّمع أن يتنزَّه عن الاستماع إلىٰ ما حرّم الله، وأن يغضي عمَّا نهىٰ الله عنه. فذلك ما فرض الله -جلَّ ذكره- علىٰ السَّمع من التَّنْزِيه عمَّا لا يحلّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان، كالغناء والغيبة وقبيح الكلام، ففي الآية تأديب لجارحة السَّمع، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨]»[(١)].

٨- فيها تعظيمه بلزوم الإعراض عن الباطل بكلّ أنواعه وفي كلّ الأحوال، لما تحمله الجملة الاسمية من معاني الثُّبوت والدَّوام وبناء الحكم علىٰ الضَّمير، والتَّعبير عنه بالاسم وتقديم الصِّلة عليه لتقوية الحكم بتكريره[(٢)]، فالآية أجمع هداية لتمثل الآداب الشَّرعية في باب التّروك.

٩- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بالإعراض عن كلِّ ما يشغله عن ذكر الله وتصوُّر جلاله، وتدبر آياته في الأنفس والآفاق، وكلّ ما يشغله عن تكاليف العقيدة من تطهير القلب وتزكية النَّفس، وتكاليفها في السُّلوك والثَّبات علىٰ الإيمان[(٣)].

١٠- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بالإعراض عن كلّ ما يمنع من كمال النَّفس، ويحول دون جمع الهِمَّة لتحقيق الغاية من الخلق. وذلك بجعل الحياة الدُّنيا معبرًا للفلاح في الآخرة، لا مرتعًا للهو والهزل واللِّعب.

١١- فيها تعظيمه بالتخلق بما أرشد إليه من أدب إسلامي رفيع، يدعو إلىٰ الاتصاف بالجدِّ في شأن العبد كلّه، وبُعده عن سفاسف الأمور، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا**»[(٤)].

تعظيم أمر الله بتزكية النفس وأداء الزكاة

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: ٤].

---

(١) مناقب الشَّافعي (١/ ٣٩٠)، والتحرير والتنوير (١٨/ ١١).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٨٢)، وروح المعاني (٩/ ٢٠٨).

(٣) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٤٤).

(٤) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان: ٨٠١٢)، وفي (الأسماء والصفات: ٨٩)، والحاكم (١/ ٤٨)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع: ١٨٠١).

يقول الحقُّ سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة].

ممَّا تدلّ عليه هذه الآية العظيمة: أنَّ من أجلِّ الغايات من إرسال الرَّسول ﷺ تزكيةُ الإنسان، وتطهيره من رجس الشِّرك، ودنس المعاصي والفواحش، وتهذيب النُّفوس من الأخلاق السَّافلة، والرَّذائل الممقوتة، ثمّ تحليتها بمكارم الأخلاق ومحامد الآداب.

ومن جملة ما جاء به الرَّسول الكريم ﷺ من الدِّين الحقِّ والهدىٰ المبين: فرضُ الزَّكاة ركنًا من أركان الإسلام. وحظُّ الفقراء في أموال الأغنياء، إعانةٌ للضَّعيف، وإغاثةٌ للملهوف، وإقدارٌ للعاجز، وتقويته علىٰ أداء ما افترضه الله عليه من العبادات والحقوق. وكَتْبُها كان علىٰ أكمل الوجوه وأنفعها للمساكين، وأرفقها بأرباب الأموال، في الأصناف التي تحتمل المواساة، ويكثر فيها الرِّبح والدَّرِّ والنَّسل[(١)].

وقد اختلف أهل التَّأويل في المراد بالزَّكاة في الآية الثَّالثة من (سورة الإيمان) علىٰ قولين كلاهما محتمل: زكاة النُّفوس وزكاة الأموال. والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطىٰ هذا وهذا، لأنَّ زكاة الأموال من جملة زكاة النُّفوس، والله أعلم[(٢)].

وبتدبر الآية، والنَّظر إلىٰ سياقها، واستنطاق ألفاظها ودلالاتها، يمكن أن نأخذ منها جملةً من الهدايات التي تُسهم في غرس تعظيم الله تعالىٰ في القلوب، وتُعين علىٰ تقويته، وإرساء دعائمه في النُّفوس، وتمنع عنه الشَّوائب والمكدرات، وهي ما يأتي:

١- تعظيمه -سبحانه- بإضافة التَّزكية إليه ونسبتها له، لكونه هو الذي هذَّبها، ويسَّرَ سبلها، وليس للإنسان حظٌّ فيها لولا توفيق الله وإذنه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

٢- تعظيم العبد ربَّه بسؤاله، والاستعانة به علىٰ تزكية نفسه، فقد كان من دعاء سيِّد ولد آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهمَّ، آتِ نُفوسنا تقواها، وزكِّها أنْتَ خيرُ مَن زكاها**»[(٣)].

٣- تعظيمه -تعالىٰ- بتعظيم أمره ونهيه، فلا يقرب منهيًا ولا يترك أمرًا، وهي حقيقة التَّقوىٰ التي بها يتزكَّىٰ العبد.

---

(١) ينظر موسوعة فقه القلوب (٣/ ٢٨١٢)، وما تلاها.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

٤- تعظيمه -تعالىٰ- بتعظيم حُرُماته في قلب العبد، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ عَظَمَةَ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَجَلَالَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَقْتَضِي تَعْظِيمَ حُرُمَاتِهِ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُتَجَرِّئُونَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَكَيْفَ يَقْدِرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ، أَوْ يُعَظِّمُهُ وَيُكَبِّرُهُ، وَيَرْجُو وَقَارَهُ وَيُجِلُّهُ، مَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ؟ هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ، وَأَبْيَنِ الْبَاطِلِ، وَكَفَىٰ بِالْعَاصِي عُقُوبَةً أَنْ يَضْمَحِلَّ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّهُ»(١).

٥- تعظيمه -سبحانه- بإيثار محابِّه ومراضيه، وتحصيلها علىٰ شهوات النَّفس ورغباتها، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

٦- تعظيمه -تعالىٰ- بمدافعة العُجب، ومقاومة الغُرور الذي قد يحصل باستعظام النِّعمة والرُّكون إليها، ونسيان إضافتها إلىٰ المنعم، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء].

٧- تعظيم العبد مولاه -عزَّ وجلَّ- بالاعتراف بأنَّه المُدَبِّر الحكيم الخبير، الذي أمات وأحيا، وأضحك وأبكىٰ، وأوجد وأفنىٰ، وأفقر وأغنىٰ، وأضرَّ وأقنىٰ. والتَّذلُّل لأمره، والخضوع لحكمه، والرِّضا بقضائه، والحمد علىٰ نعمائه.

٨- تعظيم الله -تعالىٰ- بإثبات صفة الجود والكرم له -جلَّ جلاله-؛ فإنَّه يعطي ولا يأخذ، ويُطْعم ولا يَطْعم. وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله كَرِيم يُحب الكَرَمَ وَمَعاليَ الأَخلاقِ، وَيبغِضُ سَفسافَها»(٢).

٩- تعظيمه -تعالىٰ- بتخلّق العبد بالسَّخاء، والاتِّصاف بالجود والكرم التي هي من صفاته -تعالىٰ-.

١٠- تعظيمه -تعالىٰ- بامتثال ما فرض الله من الزَّكاة الجالبة لطُهرة النَّفس مِنْ صِفَةِ الْبُخْل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، فإِنَّمَا يَزُولُ الْبُخْل بالتَّعود علىٰ بَذْلَ الْمَالِ؛ قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة].

---

(١) الداء والدواء (٦٩).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٨)، وصححه، وكذا الألباني في (صحيح الجامع: ١٨٨٩).

١١- تعظيمه -سبحانه- بالتَّصديق بوعده للمُزكِّين والمتصدقين بالفوز العظيم والأجر الكريم، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾[البقرة].

١٢- تعظيمه بشُكْره علىٰ نعمة المال، وعَلَىٰ إِغْنَائِهِ عَنِ السُّؤَالِ، وأداء الزَّكاة من باب شكر النِّعمة، فمَا أَخَسَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْفَقِيرِ وَقَدْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، وَأُحْوِجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ لَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِأَنْ يُؤَدِّيَ شُكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ[١].

١٣- تعظيمه -سبحانه- باستحضار خالص النِّيَّة وصادق العزم، واستشعار التَّقرُّب إليه حال أداء الزَّكاة؛ لأنّها من عظائم العبادات التي تستدعي يقظة فاعلها، بدلالة تقديم المعمول علىٰ العامل[٢]، والقيام بها علىٰ الوجه المطلوب[٣].

١٤- تعظيمه -سبحانه- بالإحسان إلىٰ خلقه، وبذل الخير والعون إليهم، ومواساة ضعفائهم ومحتاجيهم، فأحبُّ الخلق إلىٰ الله أنفعُهم لعياله، وأرحمهم بهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾[المعارج].

١٥- تعظيمه -تعالىٰ- باستصغار الأُعطية التي يتصدق بها، مقابل عظم مِنَّة الله عليه، وعميم فضله عليه، وَمَا أَخَسَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْفَقِيرِ وَقَدْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ وَأُحْوِجَ إِلَيْهِ ثُمَّ لَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِأَنْ يُؤَدِّيَ شُكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ.

١٦- تعظيم الله -تعالىٰ- أن هيأك لقضاء الحوائج، وتفريج الكربات، «**ومن كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدُّنيا؛ فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**»[٤].

١٧- تعظيمه -تعالىٰ- بالتَّسليم لأقضيته الشَّرعية المالية، والتَّعبد له بما خصَّص من أنصبة ومواقيت للزَّكاة، وإن قَصُر عن إدراك حِكَمِها عقلُه.

تعظيم أمر الله بالعفة وحفظ الفروج عما حرم

تحصين الفروج ممّا اتَّفقت عليه الشَّرائع السَّماوية كلّها، وهو مقصد رئيس من مقاصد الدِّين الإسلامي، والإخلال بحفظها وصيانتها يؤدِّي إلىٰ تضييع ضرورة من الضَّروريات الخمس

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢١٤).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١١١٢).
(٣) أنوار التنزيل (٤/ ٨٢).
(٤) رواه مسلم (٢٦٩٩).

الكبرىٰ التي لا تستقيم حياةُ النَّاس إلَّا برعايتها، وهي حفظ النَّسل والعرض، لا يُنازع فيها إلَّا مكابرٌ أو جاهلٌ. وقد ورد الأمر بحفظها في أدلَّة عديدة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع علماء الأُمَّة، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[النور: ٣٣].

وقال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لِحييه، وما بين رجليه؛ أضمن له الجنة»[(١)]، وأثنىٰ الله -عزَّ وجلَّ- علىٰ الحافظين فروجهم والحافظات، ووعدهم بالفلاح، ووراثة الفردوس والأجر العظيم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

ويدخل في حفظ الفرج: حفظه من الزِّنىٰ واللِّواط والمساحقة، وإتيان النِّساء من أدبارهنَّ أو حال الحيض والنِّفاس. وحفظه من الإبداء للنَّاس، والانكشاف لهم[(٢)].

كما عظَّم الله -عزَّ وجلَّ- تفريط العباد في حفظها، وعدَّ ذلك من كبائر الذُّنوب وعظائم المنكرات، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأنعام: ١٥١].

قال البغويُّ: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَقْبِحُونَ الزِّنَا فِي الْعَلَانِيَةِ، وَلَا يَرَوْنَ بِهِ بَأْسًا فِي السِّرِّ، فَحَرَّمَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الزِّنَا فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ»[(٣)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) أضواء البيان (٥/ ٥٠٦).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٢٠٣).

قال البيضاويُّ: «لا تقربوا الزنا بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلًا عن أن تباشروه»(١).

وقال ابن كثير: «يقول تعالىٰ ناهيًا عباده عن الزِّنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه، ودواعيه»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

قال الإمام أحمد: «ولا أعلمُ بعد قتل النَّفس شيئًا أعظمَ من الزِّنا».

وقال -عزَّ وجلَّ- في تشنيع جريمة اللِّواط: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء].

فعدَّه من الاعتداء لحدود الله، وتجاوز ما أحلَّ إلىٰ ما حرم.

ومن خلال تدبر قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون] يمكن الوقوف علىٰ جملة من الهدايات القرآنية المضمنة في ثنايا ألفاظها وجملها وأساليبها، والتي تبرز جانبَ عظمة الله في حِكَم تشريعه حفظ الفروج، وهي علىٰ النَّحو الآتي:

١- فيها تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- لأنَّه شرع لعباده من الشَّرائع والأحكام ما يوافق فطرتهم، ويصونها عن الاختلال والانحلال.

٢- فيها تعظيمه -سبحانه- لهدايته الإنسان لما في رحمة وخير له في حياته، فحفظ الفروج عن المحارم يمنع من اختلاط الأنساب، وتدنيس الأعراض.

٣- تعظيمه -تعالىٰ- لتشريعه ما يُحَصِّن كرامةَ الإنسان ذكرًا وأنثىٰ أن تدنَّس وتهان وتحتقر، وينزع عنها شعارُ الطُّهر والعفاف والفضيلة.

٤- فيها تعظيمه -تعالىٰ- لحمايته عبادَه عمَّا يضرُّهم في صحَّة أبدانهم من الأمراض الفتَّاكة، وسلامة أسرهم ومجتمعاتهم من تفكك روابط أفرادها، ونجاتها من عذاب الله، قال

(١) أنوار التنزيل (٣/ ٢٥٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٧٢).

رسول الله ﷺ: «إذا ظهرَ الزِّنا والرِّبا في قَريةٍ، فقد أَحَلُّوا بأنفسِهم عذاب الله»(١). وقال أيضا: «لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا»(٢).

٥- فيها تعظيمه -سبحانه- بمنع ما يسبب انتشار القتل، فارتكاب الجرائم الجنسية أعظم ما يهيِّج أسباب سفكِ الدِّماء والانتقام.

٦- فيها تعظيمه -عزَّ وجلَّ- بتحريم ما يؤذن بخراب العالم، ففي (الصَّحيحين) في خطبته ﷺ في صلاة الكسوف: أنَّه قال: «يا أمّة محمَّد، والله إنه لا أحدَ أغيرُ من الله أن يزني عبده أو تزني أمته. يا أمة محمَّد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا». ثمّ رفع يديه، وقال: «اللهم هل بلّغت؟»(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها عقيبَ صلاة الكسوف سرٌّ بديع لمن تأمّله. وظهورُ الزِّنىٰ من أمارات خراب العالم»(٤).

٧- فيها تعظيم الله -تعالىٰ- بامتثال العبد أمره بحفظ الفرج، ومجاهدة نفسه لكسر القوة الشَّهوانية الدَّاعية إلىٰ الوقوع في الحرام، قال رسول الله ﷺ في السَّبعة الذين يظلّهم الله: «ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: إنِّي أخاف الله تعالىٰ»(٥).

٨- فيها تعظيمه -سبحانه- بالتَّصديق بالجزاء الموعود علىٰ حفظ الفروج، وهو الفلاح في الدُّنيا والآخرة، بدلالة إعادة اسم الموصول العائد علىٰ المؤمنين، وبالفوز بالأجر العظيم بضميمة (آية الأحزاب: ٣٥): ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾.

٩- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بتعظيم شرعه الحكيم حيثُ اهتم اهتمامًا بالغًا بضبط الشَّهوة الجنسية عند الإنسان، ولم يتركها هملًا؛ إذ هي أشهىٰ الملاهي إلىٰ النَّفس وأعظمها خطرًا.

١٠- فيها تعظيمه -تعالىٰ- باجتناب كلِّ ما يحول بين المرء وحفظ فرجه، كالنظر إلىٰ المحرمات وإثارة الشهوات، والسَّماع إلىٰ المعازف والغناء وغيرها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) أخرجه الطبراني (٤٦٢)، والحاكم (٢٢٦١)، وصحَّحه الألبانيُّ في (صحيح الجامع: ٦٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وحسَّنه الألباني في (صحيح ابن ماجه).

(٣) أخرجه البخاريُّ (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٤) الدّاء والدَّواء (٣٩٧). ينظر للفائدة: فصل عِظَم مفسدة الزِّنا (٣٧٦) فما بعدها من الكتاب.

(٥) متفق عليه؛ البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

١١- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بشكر نعمة الزَّواج، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

١٢- فيها تعظيمه -عزَّ وجلَّ- لتشريعه دينًا عدلًا وسطًا، لا رهبنة فيه، ولا إباحية، جلبًا للمنافع ودرأً للمضار، بدلالة الاستثناء الوارد، فليس المراد حفظ الفروج عن الاستعمال أصلًا، ولكن عمَّا يضرُّ ولا ينفع(١).

١٣- فيها تعظيمه -سبحانه- لأنَّه أذن في الاستمتاع بالنِّساء، ومباشرتهم علىٰ نحو يسع غريزة الإنسان، بدلالة لفظ الإشارة ﴿ذلك﴾ المراد به: أربع زوجات وما شاء من الإماء.

١٤- فيها تعظيمه -تعالىٰ- لإحسانه للرَّقيق والإماء، والنَّدب إلىٰ معاملتهم بما يلزم من المروءة والنُّبل والكرم، بدلالة إطلاق اسم (ملك اليمين) عليهم؛ لأنَّ اليد اليمنىٰ محلُّ المحاسن(٢).

١٥- فيها تعظيمه -عزَّ وجلَّ- لتقبيحه الفواحش الجنسية في قلوب العباد، دلَّ عليه اسمها الفاحشة، هي ما تستقبحه الفِطَر السَّليمة، واسم الإشارة أولئك المفيد للتَّهويل والتَّفخيم، ووصف مرتكبيها بالعادين، قال تعالىٰ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحُجُرات: ٧].

تعظيم أمر الله في رعاية الأمانات والوفاء بالعهود

للأمانة مكانة جليلة بين أمهات الأخلاق، فقد كانت من الصِّفات الواجبة في أنبياء الله الأخيار عليهم الصَّلاة والسلام، فما من رسول إلَّا قال لقومه: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء: ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨].

ورسولنا الكريم ﷺ كان يُلقَّب بين قومه بالصَّادق الأمين. فلذلك؛ كان للأمانة شأنٌ عظيم في الدِّين؛ إذ أمر بها الشَّرع الحنيف، وحثَّ علىٰ حفظها ورعايتها، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَإِنْ

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٢).

(٢) الدُّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٥٦٧)، والتيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٢٠٧)، قال المكِّي النَّاصريُّ: «فبها تقع البيعة عند مبايعة الخلفاء، وبها يعقد العهد عند معاهدة الأصدقاء، وبها يُتلقَّىٰ الأبطال رايات المجد في ساحات الشَّرف، وبها ينفق الكرماء دون خوف من الإقلال والتلف».

﴿أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[البقرة: ٢٨٣]، ورتَّب علىٰ من وفَّىٰ بحقِّها العُقبىٰ الحميدةُ والنهايةُ الرَّشيدةُ، قال سبحانه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[المؤمنون]، وقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾[المعارج]، كما عدَّ التَّفريط في القيام عليها خيانة ونقصان إيمان وقلَّة دين، وآية نفاق، قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الأنفال].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ»(١).

ومن صفات الثَّناء التي امتدح الله بها عباده المؤمنين في مطلع (سورة الفلاح): أنَّهم كانوا للأمانات راعون، وبالعهود موفون، قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾، وقد احتوت هذه الآية العظيمة دُررًا من الهدايات الجالبة لتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- وإجلال أمره الحكيم، ومنها:

١- فيها تعظيم العبد خالقه -سبحانه- بالوفاء بالعهد الذي قطعه علىٰ نفسه، وهو في عالم الذَّرِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[الأعراف].

٢- فيها تعظيمه -سبحانه- لأنَّه هيَّأ الإنسان، وسخَّر له ما في السَّماء والأرض لتحمل الأمانة العظمىٰ.

٣- فيها تعظيم الله -تعالىٰ- بحفظ الأمانات، سواء كانت من أمور الدِّيانات وهي أعلاها مرتبة، أو من باب الدُّنيا والمعاملات، قال الرَّازيُّ: «واعلم؛ أنَّ معاملة الإنسان إمَّا أن تكون مع ربِّه أو مع سائر العباد أو مع نفسه، ولا بد من رعاية الأمانة في جميع هذه الأقسام الثَّلاثة»(٢).

٤- فيها تعظيم الله -تعالىٰ- بحفظ حقوقه علىٰ العباد، وأعظمها توحيده في ربوبيته، وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن ضيَّعها فما قدر الله حقَّ قدره، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله.

٥- فيها تعظيمه بالقيام بما فرض من صنوف العبادات، قال عبد الله بن مسعود: «القتل في سبيل الله كفَّارة كلِّ ذنب إلَّا الأمَانَة، وإنَّ الأمَانَة الصَّلاة والزَّكاة والغسل مِن الجنابة والكيل والميزان والحديث، وأعظم مِن ذلك الودائع»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٤١٠)، وصحّح الألبانيِّ في (صحيح الجامع: ٧١٧٩).

(٢) مفاتيح الغيب (١٠/ ١٠٨-١٠٩).

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، ص: ١٥٩).

٦- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بحفظ حقوق نبيه الصادق الأمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بتصديقه فيما أخبر، واتباع سبيله الأنور، وتوقيره ونصرته، وتبليغ سنته.

٧- فيها تعظيمه بحفظ حقوق العباد بَرِّهم وفاجرهم، وبالاجتهاد في أداء الأمانات إليهم، كالدُّيون والودائع، بدلالة تقديم المعمول علىٰ العامل، قال ميمون بن مهران: «ثلاثة يؤدين إلىٰ البَرِّ والفاجر: الأمانة والعهد وصلة الرحم»[(١)].

٨- فيها تعظيمه -سبحانه- بالمداومة علىٰ رعاية الأمانات والعهود مهما تغيرت الظروف لدلالة الجملة الاسمية علىٰ الثُّبوت والاستقرار[(٢)]، قال رسول الله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلىٰ من ائتمنكَ ولا تخُن من خانك**»[(٣)].

٩- فيها تعظيم العبد ربَّه -عزَّ وجلَّ- بحفظ حقوق نفسه وعقله وروحه وجوارحه، فإنَّها أمانات عند العبد يحرص علىٰ حفظها واستعمالها في طاعة ربِّه، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

١٠- فيها تعظيمه برعاية أمانة الولاية والمسؤولية علىٰ الأعمال والأفراد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[النساء: ٥٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلىٰ أهلها والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصَّالحة»[(٤)]، وقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، إنَّك ضعيفٌ، وإنَّها أمانة، وإنَّها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ، إلَّا من أخذها بحقِّها، وأدَّىٰ الذي عليه فيها**»[(٥)].

١١- فيها تعظيمه -سبحانه- بأداء أمانة العلم الذي علَّمه الله، وهداية النَّاس وتبليغهم دعوة الحقِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران: ١٨٧].

---

(١) رواه البيهقي في (شعب الإيمان: ٤٨٩٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٣٤)، وأحمد (١٥٤٢٤).

(٤) السياسة الشرعية (١٢).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

١٢- فيها تعظيمه -عزَّ وجلَّ- بالتَّصديق بوعده بالثَّواب العظيم علىٰ حفظ الأمانة، قال تعالىٰ: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب]، وقال النَّبيِّ ﷺ قال: «**أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا يضرَّنَّك ما فاتك مِن الدُّنْيا: صِدْق حديث، وحِفْظ أمانة، وحُسْن خليقة، وعفَّة طُعْمة**»(١).

١٣- فيها تعظيمه -تعالىٰ- بسؤاله الإعانة علىٰ حفظ الأمانات، وأدائها علىٰ أكمل وجه، فقد كان من دعائه ﷺ دُبُر كلِّ صلاة: «**اللَّهمَّ، أعنِّي علىٰ ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه: «تأملتُ أنفع الدُّعاء؛ فإذا هو سؤال العون علىٰ مرضاته، ثمَّ رأيته في (الفاتحة) في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾»(٢).

١٤- فيها تعظيمه -سبحانه- بمغالبة الهوىٰ، وتوطين النَّفس، وهضم حظوظها بإعطاء الحقوق لأهلها، والاتِّصاف بخُلُق العدل والإنصاف.

١٥- فيها تعظيمه -سبحانه- لأمره بحفظ الأمانة وأدائها رعايةً لمصالح العباد أفرادًا ومجتمعات، فعلىٰ قدر رعايتهم للأمانات تسود أمّتهم، ويشيع العدلُ والأمن والهناء.

---

(١) رواه أحمد (٦٦٥٢)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر (١٠/ ١٣٨)، والألبانيُّ في (صحيح التّرغيب والتّرهيب ٢/ ٣١٧).

(٢) نقلًا عن ابن القيم في (مدارج السالكين ١/ ١٠٠).

الخاتمة

نخلص في ختام هذه الوقفات مع ديباجة (سورة المؤمنون)، واستلال ما يسرَّ الله من هداياتها الرَّبانية إلىٰ النتائج الآتية:

١- ترسيخ مبدأ تعظيم الآمر والناهي كفيل بإبعاد وتصفية الأمة من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

٢- الهدايات القرآنية أولىٰ سبيل لتنزيل مفهوم تعظيم الله وتعظيم أمره ونهيه في ميادين التطبيق العملي.

٣- وجوب إيلاء علماء الأمة وقاداتها موضوع تعظيم الله من خلال إقامة مراكز علمية لتقريب مفهومه من عموم الناس.

٤- ضرورة إعداد برامج تربوية ومناهج دراسية، ودورات تكوين تعنىٰ بتنشئة أفراد الأمة علىٰ تعظيم أمر الله ونهيه.

٥- اعتماد رسائل جامعية وإنشاء مجلات علمية تختص في استجلاء موضوع التعظيم في ضوء الهدايات القرآنية.

٦- أهمية الموضوع يستدعي برمجة ملتقيات ومنتديات علمية ودعوية، ومسابقات ثقافية، وإذاعية لنشر ثقافة تعظيم الله عزَّ وجلَّ.

وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده ونبيِّه محمّد، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبعه إلىٰ يوم الدِّين، والحمد لله رب العالمين،،

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

١- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢- الأدب المفرد البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر الإسلامية. ط٣.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ تفسير البيضاوي ـ ت محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، بحوث التربية القرآنية لعام ١٤٣٦هـ.

٤- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. (التحرير والتنوير) لابن عاشور تونس: الدار التونسية للنشر.

٥- تفسير القرآن الحكيم ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ت. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط. ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة ١، ١٤٢٢هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

١١- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، ت. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، عام جـ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
١٣- سنن الترمذي، الجامع الكبير، أبو عيسىٰ الترمذي ـ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.
١٤- شعب الإيمان للبيهقي ت: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط. ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري ت. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
١٦- القاموس المحيط، الفيروزابادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ.
١٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣.
١٨- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
١٩- محاسن التأويل، القاسمي المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية. ط١.
٢٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية الأندلسي. ت. عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية بيروت. ط: ١ - ١٤٢٢هـ.
٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفىٰ: ٢٤١هـ)، ت. أحمد محمد شاكر. دار الحديث – القاهرة. الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م. (القسم الذي حققه أحمد شاكر).
٢٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أ النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، محيي السنة، ت: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
٢٤- مفاتيح الغيب التفسير الكبير للرازي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣.

٢٥- الموافقات، إبراهيم بن موسىٰ بالشاطبي ت. أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٧م.
٢٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. البقاعي (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٧- مدارج السالكين.
٢٨- موسوعة فقه القلوب.
٢٩- التيسير في أحاديث التفسير للشيخ المكي الناصري.
٣٠- موسوعة مواقف السلف.
٣١- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.
٣٢- كشف الخفاء.
٣٣- فضائل القرآن لأبي عبيد.
٣٤- ترتيب نزول القرآن، د. محمد علي الحسن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
٣٥- الصواعق المرسلة
٣٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة
٣٧- الوابل الصيب
٣٨- أسرار الصلاة، لابن القيم.
٣٩- موسوعة التفسير المأثور.
٤٠- تفسير البغوي.
٤١- السياسة الشرعية.
٤٢- صحيح الترغيب والترهيب.